

المستخلص

عمار عيدان باني الخزرجي . الشعر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ولاين حجر
العسقلاني بغداد- الحسينية (رسالة ماجستير).- بغداد : الجامعة المستنصرية :كلية
الآداب :القسم اللغة العربية ، ٢٠١٠

- الإصابة في تمييز الصحابة عنوان ينبئ عن مضمونه، فهو كتاب يتناول سيرة صحابة رسول الله (ﷺ) والتمييز بينهم، وقد عملنا جاهدين على كشف النقاب عن الشعر الوارد فيه، وإمارة اللثام عنه، وقد تمخضت الدراسة عن نتائج باتت واضحة من خلال الاستقراء الشعري للنماذج والشواهد الشعرية التي أوردها ابن حجر ضمن سياق تراجمه، ونجملها فيما يأتي:
- وظف ابن حجر العسقلاني الشعر توظيفاً دقيقاً خدمةً لغرضه الذي كان يقصده، وقد جاء أغلب الشعر الوارد في الكتاب على شكل مقطوعات شعرية لا يتجاوز البعض منها على العشرة أبيات.
 - تمثل ابن حجر العسقلاني بشعر الشعراء على مر ثلاثة عصور أدبية، وتشمل كل من: العصر الجاهلي، العصر الإسلامي والعصر الأموي، وقد حظي العصر الإسلامي بالنسبة الأعظم من ذلك الشعر.
 - أغلب شعراء الكتاب من المغمورين، الذين قلما نجد لهم ذكراً في متون الكتب ومضانها، يقابلهم في الوقت نفسه شعراء نالوا حظوة الشهرة.
 - نُظِمَ أغلب الشعر على البديهيّة والارتجال، ولا سيما إن كان الشاعر حاضراً بين يدي رسول الله (ﷺ) أو سائراً معه، لذا اتسمت أشعارهم بالوضوح والبساطة.
 - استعاض عدد من الشعراء بمقدمات جديدة غير التي كانوا يقدمون لقصائدهم بها، فقد أخذوا يهتمون بالمعنى الإسلامي، ليكون ذلك دليلاً على صدق إيمانهم بعتيقتهم الراسخة في قلوبهم.
 - لم يؤثر ابن حجر غرضاً على حساب غرض آخر، فتعددت الأغراض الشعرية وتباينت نسبها، فقد شغل غرض الرثاء الحيز الأكبر من شعر الكتاب، ولربما طغت المراثي الإسلامية على حساب المراثي في العصور الأخرى.
 - ظهر لون جديد من المراثي مع بداية الفتوحات الإسلامية، وهو رثاء الأعضاء البشرية التي يفقدها صاحبها وهو يخوض غمار المعركة، فيحتسبها عند الله طالباً للأجر والثواب.
 - وعندما لم يكن الشعر وسيلة للتكسب، أخذ الشعراء يمدحون من وجدوا فيه الصفات المعنوية، وكان رسول الله (ﷺ) على رأس من مدحهم، فهو قدوتهم ومثلهم الأعلى، راجين من ذلك تقوية أواصر العلاقات الدينية، ومن جانب آخر حبهم لنبيهم الذي كان يشدُّ من أزرهم.
 - ظهر لون جديد من ألوان المدح في العصر الإسلامي، وهو التوجه إلى الذات الإلهية، وهم معترفون بقدرة البارئ عز وجل، ومثنون عليه، ومقرون بأفضاله وأنعامه على مخلوقاته، فهو اقرب إلى أسلوب الدعاء.
 - كثرت أشعار الفخر والحماسة ولا سيما في العصر الإسلامي، إذ شغل حيزاً لا بأس به من شعر الكتاب، ذلك لأن ابن حجر ترجم في القسم الرابع من الكتاب لشخصيات كان لها دور رائد في الفتوحات الإسلامية، ولاسيما في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان لا بدَّ من الاستشهاد بتلك الأشعار الدالة على فخرهم بصرع الرؤوس الكافرة وسحقها، هذا من جانب

- ومن جانب آخر فقد شهدت قريش حرباً ضروساً مع النبي محمد (ﷺ) ولم تقتصر تلك الحرب على السيف وحده، بل كان الشعر إحدى الوسائل المباحة لخوض تلك الحرب الضارية، فاخذ الشعراء بالتصدي لقريش وشعرائها، فضلاً عن إن أشعار الفخر والحماسة دلت على اعتزاز الإنسان العربي بدينه وبرسوله وبنفسه أيضاً، فنظموا أشعاراً تدل على قوتهم وعزتهم وشجاعتهم ففاحت منها عطر الأنفة والعزة والمنعة والكبرياء.
- ظلت ألفاظ الهجاء قبلية في منحائها وأسلوبها وفي دلالاتها التعبيرية.
 - ظهر لون جديد في الهجاء، وهو هجاء المشركين وتعبيرهم بعكوفهم للأصنام والأوثان، وعبادتهم لها، ولم يكن هذا اللون بمؤثر في نفوس المشركين حتى فتح الله تبارك وتعالى بنصره المبين مكة، فعرف الناس وقع تلك الأشعار في نفوسهم.
 - مما استجد في غرض الهجاء أيضاً، ظهور لون من الشعر يعمل على مخاطبة الأصنام والأوثان وهجائها، فأخذت نظرة الإلوهية منعطفاً جديداً، فقلبت الموازين رأساً على عقب بظهور الرسالة المحمدية.
 - ظهر لون جديد من الشعر وإن كان معروفاً إلا أنه أخذ دلالة جديدة غير التي كان عليها في سابق أوانه، إذ أخذ الشعراء يعظون أبناء جلدتهم وينصحونهم بعدم الانجرار وراء الأكاذيب التي أطلقها المرتدون، وتتجلى في هذا اللون الحكمة والموعظة الحسنة.
 - نتيجة للفتوحات الإسلامية، وخضوع أصقاع مختلفة من العالم تحت أمره الجيش الإسلامي، أخذ الشعراء يصفون ما بدى لهم من مناظر لم تكن أعينهم قد ألفتها من قبل.
 - كان هناك صراع نفسي داخل نفسية الشاعر، وتمثل هذا الصراع بخوفه مما سيلحق به بعد إن أهدر النبي (ﷺ) دماء الشعراء الذين هجوه، فبادر الشعراء بالتوجه إلى رسول الله (ﷺ) طالبين عفوه وصفحته، فأخذت لغة الاعتذاريات تنشط في تلك الأونة.
 - شكل المعجم الشعري مادة خصبة للشعراء، إلا أن تلك الألفاظ لم تبق في نطاق حيزها الضيق، بل بدأت تستوعب دلالات جديدة متأثرة بعقب القرآن الكريم، فصاغوا أشعارهم بما يضمن لها الخلود والبقاء.
 - تعددت الأساليب التي اتبعها الشعراء، فقد شاع أسلوب النداء، وقد شمل هذا الأسلوب الأغراض الشعرية كلها تقريباً، كما شاع أسلوب الاستفهام، وكان هو الآخر متنوعاً فشمّل الأغراض كافة دون استثناء غرض على حساب غرض آخر، وقد أدى أسلوب الأمر دوره في إيصال الفكرة التي قصدها الشاعر لما له من طاقة تساعد على تهيئة ذهن المتلقي لفهم وإدراك عمق المعاني.
 - تفنن الشعراء بطرق التعبير، فتارة مع التشبيه، وتارة مع الكناية، وتارة مع الاستعارة وإن لم تكن نماذجها الشعرية بمثل التشبيه والكناية، ذلك لان الاستعارة تحتاج إلى تأمل وخيال خصب فيمنحها قوة التجسيد والتشخيص، لذا أرى ان اغلب صورهم باتت معتمدة على الأساليب الطليبية والإنشائية.
 - كان للبعد الإيقاعي دور في التعبير عن انفعالاتهم النفسية وما يعترتهم من تقلبات نفسية وعصبية.
 - جرت موسيقاهم الشعرية على الأوزان الطويلة ذات النفس الشعري الطويل، فعكفوا على استخدامها ومن تلك الأوزان، الطويل، الكامل، الوافر، البسيط.
 - اقلوا من استخدام بعض الأوزان ذات النفس القصير، أمثال المتقضب والمتدارك والهزج والمضارع.
 - اما فيما يخص القوافي، فكانت قافية الراء تحمل النسبة الأكبر من بين القوافي، إذ كانوا يعتمدون على الأصوات ذات النبر العالي لتعطيهم مساحة صوتية واسعة.

- وظف الشعراء بعض الفنون البديعية في شعرهم، مما منح شعرهم جرس موسيقي داخلي رخيماً.
- وأخيراً فقد بلغ عدد الشعراء الذين تمت دراسة شعرهم ضمن الدراسة الموضوعية والفنية للكتاب، يصل الى (٢٢٤) شاعراً وشاعرةً.